

www.kotobarabia.com
قصة للأطفال
كرة كبيرة سمينة
صبحي شحاته
www.kotobarabia.com

# كرة كبيرة سمينة

قصة للأطفال

## صبحي شحاتة

القاهرة فى صيف ٢٠٠٥

فى عتمة الصباح الباكر، كان كريم يتلمس طريقة فى حوارى القرية الضيقة الصامتة، إلا من صياح ديك، يقف فوق عشة أعلى بيت، مبنى بالحجارة والطين عند رأس الحارة. أتجه إليه كريم مـارا بخطواتـه الواسعة بين شجرة عجوز ذات جزع ضخم وطلمبه منتصبه أمام حوض أسمنتى واسع كأنها خيال مآته.

طرق بابه الخشبى الكبير، فصدر منه صوت عميق طويل كصوت الطبل، استيقظ توفيق من نومـه الثقيل ونهض فى تكاسل من سريره، ثم خرج من غرفته، مارا بساحة البيت الواسعة إلى الباب، شد مزلاجه الحديدى الطويل، فأصدر الباب صريرا قويا وهو ينفتح، دخل كريم نشيطا مرحا.

- هيا تأخرنا، الشمس ستطلع، أمامنا عمل طويل.
- عمل، عمل، كل يوم عمل، أنتظر حتى أفيق من النوم.

**قال توفيق وهو يتجه إلى غرفته ليعاود النوم مجددا:** فأمسكه كريم من يده وجره خارجا بـه مـن البيت إلى الطلمبة وأخذ يحرك زراعها البارد أسفل وأعلى بقوة وسرعة، تدفق الماء مـن فمهـا الحديـدى الطويل، باردا منعشا، سرعان ما راح يرشه على وجه توفيق الخامل فشهق غاضبا وأخذ يرش كريم الـذى تراجع ضاحكا بقوة قرب الشجرة، فهاجت العصافير فوق أغصانها وراحت تخرج وتدخل مضطربه مزقزقة ومحومه حول الصديقين اللذان يتبادلان رش الماء على بعضهما توفيق غاضب وكريم مرح لا يتوقف عـن الصياح.

- أصح أصح يا توفيق

كان توفيق على الطريق مغمض العينين متشبث بكتف كريم الذى كان يقوده بعيدا عن حفر الطريـق وحجارته المختبئة فى التراب مستنشقا هواء الصباح البارد النقى، مدندنا بأغنية بهيجة وكل حين يسلم ويـرد السلام على الفلاحين الذين كانوا يمرون بأبقارهم وجواميسهم وخرافهم ضاحكين من توفيق وقائلين لكريم:

- صاحبك يكمل نومه، ضع عليه غطاء.

كان كريم كعادته يتلفت إلى الطبيعة من حوله مبتهجا فرأى قرص الشمس وهو يبزغ، من بين سحب الليل المعتمة: جوهرة تبرق فى عين السماء، كاسيا بضوءه اللامع الرقيق الحقـول الممتـدة، كاشـفا عـن خضرتها المترامية، المتماوجه فى الهواء الرقيق كأنها جناحا فراشة عملاقة تهم بالطيران، ورأى الأشـجار تتمايل نافضة عنها أسراب العصافير فيخرجون منها دفعات متتابعة حاملين عنها بعيدا كسل النوم ومنتشرين فى السماء على شكل وردة ينغلق كأسها الكبير وينفتح تحت شلال الشمس الساقط من بـين جبـال الـسحب البيضاء ورأى الفراشات ترتقى سلم طويل من زهور عديدة الألوان وقد علقت بأقدامها حبوب اللقاح التـى راحت تتساقط من أقدامها منتشرة برقة فوق الأزهار.

فزاغ بصره وأنتشى منطلقا فى الغناء، للصباح الوليد ولنور السماء الذى كان يمس رأسـه واضـعا فوقها تاجا ذهبيا.

بينما توفيق ما زال مغمض العينين متشبث بكتفه منحنى كأنه أعمى أو مريض.

حال وصولهما إلى حقليهما المتجاورين، جلس توفيق تحت شجرة كبيرة وارفة أمام حقله وهو يقول: سأستريح من المشوار.

بينما خلع كريم جلبابه النظيف وتناول فأسه ورفعه على كتفه ودخل حقله وهـو مـا يـزال يدنـدن وسرعان ما أنهمك فى العمل دون توقف، كان يهوى بالفأس فيرشق فى الأرض الجافة الصلبة ويدفعه إلـى الأمام فيخرج نصله بكتلة من الطين الجاف مليئة بجذور النباتات القديمة هكذا راح يقلب التربة رويـدا رويدا بصبر *** حتى بدا حقله الواسع كأنه يتقلب ببطء ظهراً لبطن ويتغير لونه الرمادى إلى الأسود الفاحم، ثـم يجمع الأعشاب الضارة بأصابعه الطويلة ويضعها فى حجره ويخرج بها ليلقيها عند رأس الحقـل، وهنـاك ينادى على توفيق ليطمئن على أنه قام للعمل. لكن توفيق يكون قد استغرق فى النوم منذ مدة طويل ويـصحو على صوت صديقه فيضع كفيه على أذنيه مواصلا النوم حتى تشتد حرارة الشمس ويـأتى النمـل النـشيط ويقرصه فى قدميه وجسمه كله، فيقوم متضايقا ويخلع جلبابه ثم يجرجر فأسه ورائه وهو يدخل الحقل مجيبـا على نداء صاحبه بغضب.

- ها أنا أعمل، أعمل، كأى حمار آخر.

لكنه سرعان ما يلقى بفأسه حال اقتراب الظهيره ويصيح على كريم.

- سأعد الطعام لنا.

ويهرع إلى الطلمبة، عند حافة الترعة الواسعة العميقة ويغتسل، ثم يدخل الغيطان المجاورة، يجمـع منها فى حجره بعض الباذنجان والطماطم والخيار والفجل ويجلس تحت الشجرة يأكل حتى تأتى أخت كـريم بالطعام كالعادة، قبل الظهيرة بقليل، وهو يحدق فى الطريق قائلا بضيق، لماذا تأخرت سعاد ألا تعـرف أن هنا رجال يشقون فى العمل طوال النهار.

وسرعان ما يقوم ويجرى على الطريق حين يلمح سعاد آتية من بعيد بمنديل الطعـام الكبيـر فـوق رأسها صائحا عليها:

أسرعى، أسرعى.

**تضحك قائله**: ما زال الوقت مبكرا جدا على موعد الغداء

يخطف المنديل من فوق رأسها ويحتضنه بحرص وشوق ويعود إلى الشجرة حين يفتحه قائلا: سآكل نصيبى فحسب.

فتضحك سعاد مجددا وتدخل الحقل إلى كريم لتساعده فى العمل حتى يحين موعد الغداء ويظل توفيق يأكل بنهم حتى موعد الغداء، حيث يأتى كريم وسعاد فيجدا الطعام الكثير يكاد أن ينتهى، فيصيح كريم مشيرا إلى بطن توفيق ضاحكا:

- طبعا ضاع الغداء فى بطن الحوت.

- كنت جائعا جدا

**يقول توفيق وهو يضجع ويضيف:**

سأنام قليلا قبل مواصلة العمل الشاق.

وسرعان ما يروح فى النوم، فيحمل كريم طعامه المتبقى ويذهب إلـى بعـض الفلاحـين جيرانـه الجالسين عند رأس الغيط وتنصرف سعاد.

يضع كريم طعامه مع طعام الفلاحين ويشاركهم الغداء، متبادلا معهم النكات ويستمع للجد وهو يحكى لهم عن حياته وتجاربه.

ويسئل الفلاحون عن توفيق ضاحكين.

- أهو نائم، إن هذا الشاب لا يحب سوى الأكل والنوم.

**فيقول الجد**: أن الشبع الحقيقى يحصل عليه الإنسان، الذى يتحكم فى شهوة الأكل بـأن يـتحكم فـى جوعه، ولا يترك جوعه يقوده إلى النهم والطمع والإفراط، أما الكسل والنوم الطويل يورثان الفقر والمرض.

صاح الفلاحون ضاحكين: أين أنت يا توفيق حتى تسمع هذا الكلام الغالى.

فكر توفيق ذات صباح وهو يصير وراء صاحبه متكاسلا، متناوما وكريم يقوده بعيدا عـن عثـرات الطريق بحذر أنه سيتمارض ويجعل صاحبه يحمله طوال الطريق حتى الغيط. فتوقف وأنهار علـى تـراب الطريق. التفت كريم بسرعة إليه ظان أنه سقط فى حفرة ما دون أن ينتبه له، فلمحه وهو ينهار ببطء فهـرع إليه بسرعة البرق وأمسك به قبل سقوطه وسأله بقلق:

- مالك اليوم هل أنت مريض.
- نعم ولن أستطيع السير إلى الحقل، أرجوك أحملنى فوق ظهرك القوى إلى الغيط.
- حاضر حاضر.

جلس كريم نصف جلسه ثانيا ركبتيه.

- هيا أصعد فوق ظهرى .

نظر توفيق مبتسما بسخرية إلى ظهر صاحبه القوى، وتقدم محيطا زراعيه حول رقبته وتشبث بها ثم احاط ساقيه حول وسطه، فقام كريم وهو يصيح:

- يا قوى.

وأخذ يسير بقوة وسرعة على الطريق الطويل، فزع طائر أبو قردان كان يقف على حد الغيط وطار بعيدا وهو يتلفت إليهما كل حين. كلما شعر كريم بالتعب، توقف قليلا جانب الطريق، ثم يواصـل مـستعينا بالغناء على تقوية نفسه، متطلعا إلى الحقول المديدة تحت الصباح الوليد مستنشقا رائحتها الحلـوة العطـرة، بينما توفيق يضحك عليه فى سره:

- أمشى، أمشى يا حمار ها ها.

ثم يغمض عينيه ويسند خده فوق رأس كريم أو كتفه وينام وكلما توقف كريم من شدة التعب يـستيقظ توفيق ويصيح متوجعا: آه، آه آه.. فينشط كريم ويواصل السير قائلا لتوفيق.

- اصبر يا صديقى وتحمل ها نحن نقترب.

أثناء ذلك كانت أفواج الفلاحين الذاهبة إلى الحقول، تمر بهما مشاهدة توفيق وهو محمـولا كطفـل كبير سمين فوق ظهر صاحبه فتنفجر فى الضحك.

- ما هذا يا كريم، أهذا وقت اللعب.
- لا نحن لا نلعب، إن توفيق متعب قليلا من الطريق.

فيواصل الفلاحون ضحكهم أكثر قائلين:

- لابد أنه متعب من كثره الأكل والنوم، هيا ألقى به عن ظهرك أنه كسول متمارض.

فيرد كريم خجلا: كيف أتخلى عن صاحبى فى وقت الشدة.

- ولكنه سيكسر لك عمودك الفقرى.
- لا أنه خفيف كالريشه.

يقول كريم مبتسما وهو يواصل سيره إلى الحقل ... عندما يصل ينزل توفيق برفق ويجلـس قلـيلا ليستريح ثم سرعان ما ينهض إلى الطلمبة، يغتسل ويشرب ثم يمضى إلى حقله شاعرا بأن عضلات قدميـه قويت وصار هو نفسه أخف وأكثر رشاقه ويباشر عمله، منطلقا فى الغناء بينما توفيق يبتسم ساخرا منه فـى نفسه:

- هذا العبيط سأجعله حمارتى، كل يوم سأركبه.

ولكنه شعر بألم فى يديه وساقيه وظهره، فاستلقى تحت الشجرة وقال ضاحكا فى خبث:

- ولكنه حماره ليست مريحة، فصوته عال، وغناءه مزعج.

سأضع كمامة على فمه حتى يصمت وأستطيع النوم هأ هأ هئ هئ بل سأضع لـه مقـود وأحـضر عصى طويلة أضربه بها صائحا:

شى شى يا حمار ها ها هى هى ...

...

كل يوم كان كر يم يحمل صاحبه فوق ظهره ويقطع به الطريق الطويل كله من البيت إلى الحقل ثم من الحقل إلى البيت، وكلما مرت الأيام يشعر بأن جسده يقوى على حمل صاحبه، فلم يعد يتوقف فى الطريق ليستريح ولا يشعر بثقل جسد صديقه الذى أزداد سمنه وتضخم بطنه حتى صار كشوال من القطن.

وشعر توفيق بمزيد من الآلام فى ظهره ورقبته ويديه وساقيه تزداد يوما وراء يوم ففكر بأن يجعل كـر يـم يضع كرسى له مسند على ظهره حتى تكون جلسته مريحة. وراح يتوجع ويتصنع البكاء، فسأله كريم مـشفقا عليه – ماذا بك يا صاحبى، هل ما زلت متعبا.

- نعم، بل أن التعب يزداد، لأننى غير مستريح فى جلستى على ظهرك، إن جسمى كله يؤلمنى من طول الأمساك بك خشية أن أقع.
- وماذا أفعل حتى تستريح.
- ضع كرسى فوق ظهرك له مساند حتى استريح عليه.
- طيب إذ كان هذا سيريحك، سأفعله لك، فأنت صاحبى.

أحضر كريم مقعد له مساند وعليه وسائد وربطه بحبل قوى حول جسده مرات حتى ثبت أعلى ظهره قرب كتفيه وذهب إلى صاحبه فى الصباح الباكر، أيقظه وغسل له وجهه حتى يصحو ثم ثنى ركبتيه وجلس نصف جلسة، فصعد توفيق على المقعد وجلس فيه مسندا ظهره ومدليا ساقيه فوق كتف كريم وصدره فأمسك بهما كريم ونهض بحذر خشية أن يسقط صاحبه ثم أنطلق يمشى بسرعة قائلا فى مرح.

- الآن أستطيع أن أسير بحرية أكثر.

...

لما شاهد الفلاحون توفيق جالس على المقعد فوق ظهر كريم المسرع به كحصان قوى أنفجروا ضاحكين مجددا وأنهالو عليه بالسخرية:

- أيها الطفل المتمارض يا مستغل لصاحبك.

فكان توفيق يقذفهم غاضبا بقشور ثمار الفاكهة التى جلبها معه ليتسلى بأكلها طوال الطريق. فغضبوا منه ولم يعودا يلقون عليه تحية الصباح أو المساء أو يذهبون لزيارته أو يستقبلوه فى بيوتهم وأطلق عليه الأطفال اسم تختخ للسخرية من كسله الشديد، فضايقه ذلك وراح ينهرهم ويبعدهم عن اللعب أمام بينه، ساكبا عليهم الماء، فيهربون إلى بيت كريم ويلعبون أمامه، فيخرج إليهم كريم ويلعب معهم وعندما يهينون توفيق أمامه يدافع عنه قائلا: أنه لن يصاحبهم إذ استمروا فى إهانة صديقه، فكفوا عن إهانة توفيق إكراما له لكنهم فى داخلهم لم يعودو يحبون توفيق وكلما شاهدوه يبتعدون عنه كأن به عدوى.

قال توفيق فى نفسه وهو جالس على المقعد فوق ظهر صاحبه الـذى كـان يقتـرب مـن حقليهمـا بخطوات واسعة.

- سأجعله يزرع حقلى مع حقله وأبقى أنا نائما مستريحا طوال النهار هأ هأ هئ هئ

وصل كريم إلى حقل صاحبه ثم أنزله بجوار الشجرة وما أن هبط توفيق حتى راح يصرخ ويتوجـع ملقيا بنفسه على الأرض:

- قدماى آه آه

وسرعان ما أقامه كريم من على الأرض وأجلسه مسندا ظهره على جزع الشجرة وهو يقول له: مـا بك يا صاحبى.

- التعب يزداد، قدماى ضعيفتين لا تقدران على حملى، أرجوك يا كريم يا صديقى المخاص أن تزرع حقلى مع حق لك حتى أشفى آه آه آه.
- حاضر، حاضر، كما تريد، سأزرع حقلك قبل حقلى.

...

أنطلق كريم بنشاط إلى حقل صاحبه وخطف الفأس وراح يعزق الأرض الجافـة ويقلـب تربتهـا المهملة صانعا خطوطا طويلة فيها ثم يبذر البذور وهو يدعو لصاحبها بالشفاء، بينما كان توفيق يجلس فـى ظل الشجرة الكبيرة طوال النهار يأكل اللحوم والفاكهة أو أى شئ يجده وينام فى الهواء لا يؤرق نومه سوى النمل الذى يتسلل إليه ويقرصه من كل جسمه، ففكر أ ن يحضر معه سريره من البيت ليجلس عليـه ليبتعـد عن النمل وقال: سأجعل كريم يحضر لى سريرى.

ثم أنتظر حتى جاء كريم فى الظهيره ليتناول غدائه فقال له بصوت خافت – كريم يا صاحبى العزيز، إن النمل يأكلنى وكلما أبعدته يعود ويتجمع على ولا يجعلنى أستريح أبدا، أرجوك يا صـاحبى الطيـب أن تحضر لى سريرى من البيت لأجلس عليه وابعد عن النمل الشرير هذا.

- قال كريم: أجلس فوق المقعد أنه كبير وعال.
- قال توفيق باكيا: كيف سأستطيع النوم عليه أنه ضيق على جدا ويتعبنى.
- قال كريم: حاضر – حاضر يا صديقى.

...

فى الصباح التالى شاهد الفلاحين على الطريق مشهدا عجيبا لن ينسوه أبدا كان توفيق السمين كبقرة جالسا فى سريره يأكل من طبق كبير به لحوم وفواكه بينما صاحبه كريم يحمل السرير بقوة وسهوله ويمضى به متجها إلى حقله وحقل صاحبه فراحو يقهقهون حتى يقعون من فوق دوابهم ويقولون: هذا ما كان ينقص توفيق أن يأخذ معه سريره وطعامه إينما ذهب.

- لقد ولد فى سرير، أنه يعشق الكسل.
- أنظروا إليه أنه لا يحس بتعب صاحبه.
- آه يا كريم، كم أنت كريم.

واندفع الأطفال رغما عنهم يدفعهم المرح الذى شمل الجميع وراحوا يتعلقون بحواف السرير ويشدون الملاءات والوسائد وتوفيق يلقيهم بثمار الفاكهة ويصيح غاضبا:

- لا تقتربوا من سريرى، ستوسخوه أيها الشياطين.

...

وضع كريم السرير فى ظل الشجرة الوارفة واطمئن على صاحبه فى جلسته المريحة بجوار طعامه وشرابه وتليفزيون صغير يعمل بالبطارية يتحكم فيه توفيق بواسطة الريموت كنترول فى يده وأنطلق إلى عمله.

...

كان توفيق يتفرج على التليفزيون ويأكل وإذا مل ينام، هكذا طوال النهار، فازداد سمنه على سمنته وتضخم جسمه، حتى صار كأنه فيلا صغيرا. لكن ساقيه هزلتا فهو لا يستعملهما فى شئ سوى الذهاب ليلا إلى الحمام فى بيته أو للتبول نهارا فى حقله، فاخذتا تقصران قليلا قليلا كل يوم، بينما كريم يزداد طولا وقوه على قوته، وغناءه يزداد جمالا فى أذن كل من يسمعه وهو يتنقل بين الحقلين ذهابا وإيابا نهارا حيث يعزق الأرض ويبذر البذور وليلا حيث يروى الحقلين مديرا الساقية بنفسه وهو يغنى على صوت تدفق الماء فى القنوات، تحت ضوء القمر الفضى اللامع والفلاحون وأطفالهم يذهبون ويجيئون على توفيق الجالس فى سريره تحت الشجرة يأكل ويشاهد التليفزيون فيلقونه بالحجارة الصغيرة وهم يصيحون به: قم يا برميل، نشط نفسك يا كسول.

فيبكى من الغضب ويستغيث بكريم الذى يهرول مدافعا عنه صائحا:

- أرجوكم أتركوه فى حاله.

فينصرفون ويجفف له كريم دموعه ويواسيه حتى يهدأ.

...

لكن تسلل النمل إلى السرير ودخل تحت الأغطية وتجمع على جسم توفيق وراح يقرصه وأتى الحمام ووقف فوق أغصان الشجرة وتبرز عليه وأتت أيضا فأران الحقل الكبيرة وقفزت علـى الـسرير وراحـت تخطف منه طعامه وأحاطت به القطط والكلاب يموءون وينبحون عليه كانوا جميعا يريـدون أن يـشاركوه السرير والتفرج على التليفزيون وتناول الطعام بل والنوم فوق السرير معه ومهما حاول توفيق أبعادهم بقذفهم بالفاكهة أو الطعام أو بغصن طويل قطعه له كريم من الشجرة كانو يأتون مجددا بأعداد أكبر فلم يعد يهنئ أو يعرف الراحة فطلب من كريم أن يعود به إلى بيته هذه المرة ويتركه فيه ويزرع هو الحقلين ثم يحـصدهما ويبيع المحصولين ويأتى له بنقوده، ووافق كريم على كل ما طلبه صاحبه متمنيا له الشفاء، فكان يذهب وحده فى الصباح إلى الحقلين ويعود فى المساء إلى بيت توفيق ليطمئن عليه ويمكث معه ليخدمه ويغير له ملابسه، فتوفيق صار لا يستطيع تبديل ملابسه بنفسه، بعد أن ضاقت أكثر عليه ويحممه وينظف له سريره وبيته ثـم يتركه متوجها إلى بيته.

لاحظ الجد غياب كر يم فى الظهيره حين تجمع الفلاحون بصحبته لتناول غدائهم فقال: لينادى أحدكم على كريم.

قام أحد الفلاحين الشباب وصاح بأعلى صوته: كريم، كريم فجاء صوت كريم مـن بعيـد، حاضـر سأحضر بعد قليل جلس الفلاح الشاب قائلا: لا أعرف كيف يزرع كر يم الحقلين وحده أنه يعمـل نهـارا و ليلا وهذا كله من أجل توفيق الكسول المتمارض الذى أنصرف عنه أهله إلى بيتهم الآخـر وتركـوه وحـده خجلا من كسله قال فلاح آخر – الغريب أن عمله الطويل لا يمنعه من زيارتنا فهو لا يتأخر عن مـشاركتنا أحزاننا وأفراحنا فحين مات أبو سالم ترك كريم عمله وأسرع لمواساة أسرته وأعطاهم نقودا ورأيته يندفع مع الشباب حاملا النعش إلى المقابر وبعد الدفن عاد بسرعة وشارك الشباب فى تهيئة المكان أمام الـدار فكـنس معهم الأرض وفرش الحصير والسجاد ووقف يستقبل المعزين ثم راح يوزع عليهم أكواب الشاى ولم يعد إلى داره إلا بعد إنصراف الجميع وبعد أن أطمئن على أسرة المتوفى وشد على يد ابناءه وعانقهم واحدا واحـدا وكنت واقفا انتظره لأنصرف معه فشاهدت أحد أبناء المتوفى يبكى على كتفه وهو يعانقه قائلا:

- كان أبى رحمه ا يحبك يا كريم ويعتبرك أبنا له.
- فقال كريم – كان هذا يشرفنى جدا وما يزال وسيعيش أباك داخل قلبى.

ثم أنصرف معى مسرعا وهو يغالب د موعه.

**قال الجد**: منذ أن مات والدى كر يم وهو يعتبر الجميع أبائه وأخوته.

**قال فلاح شاب آخر**: الم تروه فى عرس زينب بينت الحاج على، كيف جمع الشباب حوله وهو يغنى طوال الفرح ويرقص بالعصا ويساعد أهل العروس والعريس فى خدمة الضيوف يااااه كان غناءه جميلا فرحا خارجا من القلب: أنه عازف ماهر على العود، أنه فنان حقيقى.

**قال الجد باسما**: إن كريم يزدهر كالورد وسط الناس.

**قال فلاح عجوز**: ذات يوم وأن أوقظ أبنى الصغير هانى ليذهب إلى المدرسة فوجئت به يقول لـى: أنه لن يذهب إلى المدرسة.

**فقلت له**: لماذا هل أنت مريض. وانحنيت عليه وأخذته فى حضنى.

**فقال** – لا لست مريضا يا أبى.

**فقلت مبتسما**: أذن أنت ليس لديك رغبه فى الذهاب اليوم إلى المدرسة.

**فقال**: نعم يا أبى ليس لدى رغبة للذهاب اليوم إلى المدرسة ولا غدا الحق يا أبى أننى لا أريد الذهاب إلى المدرسة أبدا.

**فقلت بقلق**: لماذا يا هانى هل أغضبك أحد من زملاءك.

**فقال**: لا يا أبى حتى ولو أغضبنى أحد من زملائى كنت سأحل بنفسى الخلاف معه. ولكنى أريـد أن أعمل معك فى الغيط.

**فقلت مبتسما**: أنا مازلت بصحتى يا ولدى والمدرسة مثل الغيط بل هى أهم بالنسبة لك فأنت تحتـاج إلى التعليم لتكون أنسانا جيدا نافعا لنفسك ولغيرك.

**فقال**: ولكن كريم إنسان نافع ومحبوب من الجميع ولا يذهب إلى المدرسـة وأنـا أحبـه وأريـد أن أكون مثله.

فأخذت أحكى له عن كريم فقلت بأنه كان يذهب إلى المدرسة حتى حصل على الـشهادة الإعداديـة، لكن موت أبيه وأمه جعله يخرج من المدرسة ولا يكمل تعليمه وكرس وقته وجهده للغيط حتى يرعى أختـه الوحيدة سعاد ويساعدها على إكمال تعليمها بينما أنا أبوك موجودا.. لكنه رفض ووجدته يخرج معى ويسوق الماشية إلى الغيط. ظللت حزينا طوال اليوم وفى المساء وأنا ذاهب إلى أحد أقاربى قابلت كر يم كان يـسير بخطواته الواسعة فتوقف وسلم على ونظر فى عينى فشاهد الحزن فيهما فسئلنى بأدب عن حالى فقلت له مـا حدث بينى وبين هانى وأخبرته أنه هانى يعتبرك مثلا أعلى له وأنه لن يذهب مثلك إلى المدرسة أبدا.

صمت كريم مفكرا ثم أبتسم وقال: هل تسمح يا عمى أن أزوركم غدا فى المساء

**فقلت**: طبعا يا كريم أهلا بك فى أى وقت.

تركنى ومضى مسرعا كعادته لكنى لمحت فى عينيه الذكيتين بريقا وتـصميما ثـم توقـف والتفـت إلى وصاح:

- لو سمحت يا عمى قل لهانى أن كريم يشكرك جدا فابتسمت له حائر وقلت: سـأقول لـه يـا كـريم سأقول له.

وفى مساء اليوم التالى طرق الباب، فذهب هانى وفتحه فإذا بكريم واقفا بالباب يبتسم بجلبابه الأبيض الناصع وحذائه اللامع وشعره الأسمر المصفف جيدا وكان يحمل فى يده اليمنى حقيبة بلاستيكية بها كتب ظل هانى ينظر إليه وإلى الكتب مستغربا فلاحظ كريم ذلك وقال له:

- ألن تدعونى للدخول.

**قال هانى بخجل**: طبعا طبعا تفضل.

**دخل كريم وهو يسلم على ثم قال لهانى**: جئت لأشكرت يا هانى.

**قال هانى مستغربا**: على ماذا تشكرنى يا كريم.

**قال كريم باسما**: لأننى كنت أحلم دائما بأن أكمل تعليمى وكنت أنتظر الوقت المناسب: لكننى رأيتـك ذات صباح وأنت ذاهب إلى المدرسة بنشاط فسلمت على وقلت لى أنك تريد أن تكون مثلى أتتذكر يا هانى.

**قال هانى**: نعم اتذكر كان ذلك منذ أسبوع وكنت أنت يا كريم ذاهبا لزراعة حقل توفيق بصحة ونشاط وتدندن بلحن حلو فأعجبنى ذلك فسلمت عليك وقلت لك أننى أريد أن أكون مثلك فرحا ونشيطا فقلت لى أنت أيضا أنك تريد أن تكون مثلى ولكنى لم أفهم ورغبت أن أعرف كيف تريد أن تكون مثلى لكنـك أنـصرفت مسرعا كعادتك.

**قال كريم**: نعم أريد أن أكون مثلك طالب وها أنا الأن قدمت أوراقى فى المدرسة الثانوية وسـأدخل أمتحان آخر العام وأحضرت كتب سنة أولى ثانوى وسأذاكر بجد واجتهاد من الليلة لـذلك جئـت لأشـكرك يا هانى.

نظر هانى إلى وأنا جالس على الكنبة غير مصدق وشاعرا فى الوقت نفسه بالجميل الذى يفعله كريم فى وفى ابنى هانى فقمت وأمسكت كريم ليجلس معنا ويشرب الشاى، لكنه قال:

- أنه ليس عنده وقت يضيعه لابد أن يذاكر من الأن ثم نظر إلى هانى وقال ها أنا طالبا مثلك ماذا تريد أن تكون فى المستقبل يا هانى.

**قال هانى بخجل**: أنا، أنا أريد أن أكون مدرسا.

**فقال كريم**: أما أنا فأريد أن أكون مطرب سـأدخل معهـد الموسـيقى العربيـة وأدرس الموسـيقى والغناء ما رأيك.

**قال هانى**: أنا أحب غناءك جدا.

**قال كريم**: شكرا لك إلى اللقاء يا صاحبى.

وأنصرف كريم خارجا من الباب بينما هانى حائرا مضطربا ينظر إلى تارة وإلى كريم تارة أخرى ثم صاح: كريم .

فتوقف كريم والتفت إليه، فجرى هانى إليه وعانقه قائلا شكرا لك أنت.

صمت الفلاح العجوز وهو يجفف دمعه هبطت من عينيه  ثم قال: لقد أنقذ كريم ابنى هانى من الجهل أنا مدين له بذلك.

**قال الجد**: كل يوم يزداد كريم جمالا.

وما أن أكمل الجد جملته حتى شاهد الجميع كريم يأتى راكضا: هل غبت عنكم أنا آسف

قال الجد باسما: أنت دائما حاضر معنا يا ولدى.

لم يكن توفيق يخرج أبدا من بيته، أغلق على نفسه الأبواب والنوافذ وكان دائم الجلوس فى سـريره يأكل ويتفرج على التليفزيون أو ينام طويلاً فراح يزداد سمنه كل يوم وكل لحظة ويزداد كذلك نهما للأكـل: كان يبلع الطعام دون مضغ فأخذت يداه تتصران مثل قدماه كأن جسمه المتضخم يبلعهم داخله كأنهم طعـام، فكان توفيق يجد صعوبة فى مد يده إلى طبق الطعام فيميل برأسه ميلا شديدا على الطبق كأنه سلحفاه ضخمة ويأكل وكذلك كان يجد صعوبة فى الهبوط من السرير والسير على قدميه الضعيفتين القصيرتين إلى الحمـام الذى ضاق بابه عليه فكان يتبول وهو واقف خارج الباب، حتى طلب من كر يم أن يهدم جزء مـن الحـائط حتى يوسع له الباب، ففعل كريم ذلك ثم طلب من كريم أن يطعمه بنفسه لما يأتيه فى المساء لأنه يتعب مـن الأكل بفمه مباشره من الطبق وكلما قال له كر يم أنه ينبغى أن يحضر له طبيبا. يرفض توفيق بشدة ويقول: سأشفى وحدى.

لأنه كان خائفا أن يكشف الطبيب تمارضه أمام كريم.

هكذا حتى اختفت قدماه تماما فى جسده الضخم وكذلك يداه ثم أخيرا غاصت رأسه السمينة وصـار شكله مستديرا ككرة من اللحم غطت أذنيه اللذين كبرتا وتهدلتا فلم يعد يسمع جيدا وكان يرى قليلا وبصعوبة ويتنفس كذلك بصعوبة ولحم جسده مازال يتزايد حول وجهه ويبتلعه فلم يعد توفيق قادرا على شئ إلا البكـاء والغضب من الأطفال الذين عادوا يلعبون أمام داره فكان يتسلل متدحرجا من سريره منهبدا علـى الأرض كأنه كيس ضخم ملئ بالماء متألما أبلغ الآلم، ثم يفتح الباب بصعوبة شديده بعد جهد طويل مـضنى وينظـر إليهم وإلى أجسادهم الممشوقة وهم يجرون هنا وهناك وراء الكرة يتصببون بالعرق ويهتفون فرحين باللعـب والنشاط ناسين توفيق قائلين بينهم وبين أنفسهم كل حين بسخرية: لابد أن البرميل الكسول نائم فكان يخـرج إليهم محاولا أن يرشهم بالماء كما كان يفعل قديما فلا يقدر ويتدحرج بينهم ككـرة كبيـرة سـمينة فيفـرون ضاحكين عليه، ثم يعود متدحرجا باكيا من الجروح التى أصابت وجهه وجسده من حصى الطريق. وكلمـا حاول جاهدا أن يقف على قدميه القصيرتين جدا كقدمى البطريق وأن يسير ببطئ شديد ناقلا جسمه الـضخم كله جهه اليمين تاره ثم جهه اليسار تارة أخرى كان سرعان ما ينكفى متدحرجا هنا وهناك متخبطـا فـى الأشياء فتقع عليه الأوانى المليئة بالطعام فيظل ي بكى ويصرخ دون أن يهتم به أحد غير كريم الـذى يـأتى إليه فى المساء فيجده ملقى هنا أو هناك ملوثا بالطعام والتراب فيحمله ويحممه ويغير له ملابسه ويضعه فـى سريره وتوفيق أثناء ذلك ينظر إلى جسد كريم الطويل الممشوق القوام كعود خيزران مرن قوى فيغتاظ مـن نفسه ويلومها فى سره: أنا السبب أنا من فعل بنفسه هكذا فيظل ساعات النهار والليل ينظر إلى نفسه فى مرآه الدولاب الطويلة ويبكى قائلا لنفسه

– لقد صرت يا توفيق مسخا مشوها.

وكان كريم يسأله مشفقا عليه: لماذا تبكى يا صاحبى هل مازلت متعبا ماذا أفعل لك حتى تكون سعيدا.

فيرد عليه توفيق فاتحا فمه الغليظ بصعوبه محركا خديه المنتفخين كبالونيتين فيقترب كريم منه لاصقا أذنه أمام فمه حتى يسمعه فيقول توفيق

- أريد أن أعود كما كنت رشيقا.

فيأخذ كريم بيده القصيرة السمينة ويساعدة على السير ذهابا وأيابا فى أنحاء البيت حتى تتقوى قدميه رويدا رويدا، لكن توفيق سرعان ما كان يتعب من ثقل جسده فيسقط منكفئا على وجهه أو ظهره متدحرجا باكيا صارخا فيوقفه كريم ويجفف وجهه ويشجعه ويعاودان السير مرة أخرى وكريم يقول له: استمر فى المحاولة كن عنيدا.

...

وفى الصباح يمر عليه كريم كالعادة للأطمئنان فيجده ساهرا يجهد نفسه فى السير هنا وهناك متحملا سقوطه المستمر وجروحه، فيواسيه ويشجعه وينصرف إلى عمله.

...

ذات صباح طلب توفيق منه الذهاب معه إلى الحقل ليرى الشمس والزرع ويستنشق الهواء النظيف المعطر بعطر الحقول فهم كريم أن يحمله على ظهره كالعادة، لكن توفيق صرخ بكل ما يستطيع من قوة قائلا:

- أرجوك كفى دعنى أسير وحدى أريد أن أعتمد على نفسى راقبنى فحسب من قريب.

هكذا كل صباح كان الفلاحين يشاهدون الصديقين وهما يذهبان إلى حقليهما كريم يسير خاف توفيق الذى يبدو تحت شمس الصباح القوية ككرة كبيرة سمينة يجاهد فى السير ببطء وصعوبة لكنه سـرعان مـا ينكفئ متدحرجا على الطريق الترابى الخشن بينما كريم يسرع خلفه ليوقف اندفاعه ألا إرادى وينظفه مـن التراب ثم يواصلان مجددا.

...

قال الجد وهو يسير مع الفلاحين وينظر إلى توفيق وهو يجاهد فـى الـسير مـتحملا آلام الـسقوط والتدحرج والاصطدام هنا وهناك أمام كريم الذى يتابعه كظله بكل ما يستطيع من المساعدة

ها هو توفيق ينشط أخيرا أن طريقة طويل وشاق لكنه لابد أن يسير فيه وحده ويكمله للنهايـة حتـى يعود إنسانا حقيقيا من جديد

**تمت**